العشيرة وتأثيرها على النظام السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣(دراسة تحليلية)

م. م احمد صالح مهدي كاظم

كلية الاداب / جامعة القادسية

ahmed.salih@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٤/١٢/١٦

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٤/١٢/٢٢

الخلاصة :

تعد العشيرة ركناً اساسياً من التكوين الاجتماعي في المجتمع العراقي وذلك من خلال الادوار التي تلعبها في عملية الضبط الاجتماعي والتماسك الاجتماعي التي تمارسه على افرادها وكذلك القيم والاخلاق وبعد عام ٢٠٠٣ وما خلفة الاحتلال الامريكي للعراق من مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية لم تتخل العشيرة عن دورها في العمل السياسي لذا كان توجه انضار السياسيين للعشائر للاستعانة بها أوقات الانتخابات واستثمار دور العشائر في التعبة الحزبية والجماهرية ، واذا ما كان اللجوء الى العشيرة يبدو الخيار الوحيد للأفراد في اوقات الأزمات اذ اثبتت العشيرة وخصة في محطات التوتر الاجتماعي انها الملاذ الأمن من تلك التوترات وايضا للحفاظ على حياتهم ممتلكاتهم .

الكلمات المفتاحية : العشيرة، السياسة، النظام السياسي

The cla and Its influence on Iraq's Potitical system Post- 2003

(An Analytical Study)

Ahmed Salih Mahde

College of arts / university of al qadisiyah

ahmed.salih@qu.edu.iq

Date received: 1/2/2024
Acceptance date: 11/3/2024

Abstract: The clan is a cornerstoe of Iraqi societys social structure through the vital roles it plays the process of social control and unity that it practices on its members, besides the values and morals. In addition to that, the clans cotiued to play an active role in political affairs after 2003, addressing the social,political, and economic challenges left behind by the American occupation in Iraq . therefore, politicians shifted their focus to the clans, seeking their support during elections and leveraging their significant influence in party organization and publis mobilization. Turning to the clan appeared to be the sole recourse for individuals during times of turmoil, as the clan provided a refuge from these pressures, particuly during phases of social upheaval, while also safeguarding their lives and possessions.

Keywords Clan, politics, political system

المقدمة:

كانت العشيرة ومنذ أزمنة مختلفة حتى يومنا الحاضر لها أهمية خاصة فكثيرا ما كانت العشائر تفرض سيطرتها على الأمن الداخلي والسياسي للمجتمع، بل شكلت دول مستقلة لها كيانها الخاص وعلاقاتها مع الدول ونتيجة للسيطرة التي تكتسبها العشائر العراقية جعلها تعتز بتنظيمها العشائري وبلورة ولائها إلى الأفراد المنتمين اليها، ان العراق مجتمع عشائري تحكمه الأعراف والعادات والتقاليد العشائرية في الكثير من قضاياه الاجتماعية وكثير من المشكلات تحل بعيداً عن القانون العام ومراكز الشرطة وتمارس العشيرة دور الضبط الاجتماعي على افرادها مما تجدر الاشارة اليه هو ان المستوى الحضاري والقيمي والفكري وحتى عملية الضبط الاجتماعي للعشيرة العراقية يختلف من عشيرة الى اخرى حسب قوانين العشيرة الخاصة بها التي تمارسها على افرادها لذلك تقوم المجتمعات العشائرية على اللحمة والولاء للعشيرة وعلى مجموعة من العادات والتقاليد ، كما ترتبط العشيرة بروابط القربى والشرف والثأر والنسب والقوة لذلك شكلت العشيرة وحدة سياسية واجتماعية نابعة من المجتمع العشائري .

المبحث الاول : عناصر البحث الاساسية

مشكلة البحث : يعاني المجتمع العراقي منذ زمن طويل من القلق والاحباط نتيجة الحروب والنزاعات المتتالية والحصار الاقتصادي والدولي الذي اضعف قوة الدولة واضف السلطة السياسية والاجتماعية ، فأن ضعف الدولة يؤدي الى ضعف القوانين الرسمية المتمثلة بالأمن والشرطة وقوات الجيش وهذا بدوره جعل الافراد يلجؤون الى المرجعيات العشائرية التي اصبحت في الآونة الاخيرة قوة بديلة خاصة مع ضعف الدولة اذ اصبحت للعشائر قوة بديلة عن الدولة، وتنطلق اشكالية البحث من ان افراد العشيرة الذين ترشحهم وتنتخبهم العشيرة يكون ولائهم للعشيرة اكثر من ان يكون ولائهم للوطن بعيداً عن السلوكيات الاجتماعية القائمة على الموروث المتناقل والتقاليد التي تتلاءم مع رؤية الدولة والنظام السياسي الحالي وتقف بالضد من عملية التحول الديموقراطي.

هدف الدراسة:

١ – يهدف البحث الى بيان مدى تأثير العشيرة على العملية السياسية داخل المجتمع العراقي وبيان نتائج

هذا التأثير

١ – تسليط الضوء على دور النفوذ العشائري في ممارسة العمل السياسي وخاصة بعد ٢٠٠٣.

٣ – كما هدف البحث في التعرف على دور العشيرة كمنظومة اجتماعية في المشاركة بالعمل السياسي والدولة من خلال اعضاها في العملية السياسية.

٤– معرفة اهمية الدور الذي تؤديه العشيرة في ضبط وحماية افراد المجتمع العراقي .

أهمية الدراسة : لا شك ان العشائر لها شأن خطير في المجتمع العراقي من خلال الادوار التي تؤديها داخل المجتمع فبعد انهيار النظام السياسي وفقدان قوة القوانين الرسمية للدولة العراقية وخاصة بعد عام ٢٠٠٣ برز دور العشائر بشكل كبير في حماية افراد المجتمع فأخذت على عاتقها توثيق العلاقات والروابط الاجتماعية بين افراد المجتمع واخذت زمام امور المجتمع واستغلت ضعف الدولة ودخلت في العملية

السياسية من خلال مرشحيها الذين اصبح ولائهم للعشيرة وتنفيذ متطلباتها بدل من ان يكون ولائهم للوطن وبدل ان يرشحوا اشخاص اكفاء ذو علمية من اساتذة الجامعات ومن اطباء وصيادلة ونخب.

منهجية البحث :استخدم الباحث والوصف التحليلي وهو احد اشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة او مشكلة محددة من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية ومن ثم الوصول الى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع حلول للمشكلة .

المبحث الثاني: تحديد المفاهيم العلمية

أولاً: تعريف العشيرة لغةً:

وتعرف العشيرة بأنها: تنظيم عشائري ،العرف العشائري ،نسب عشائري وهي تنظيم اجتماعي على اساس عشائري والعشيرة هي مجموع عشائر وعشيرات، وعشيرة الرجل بنو ابيه الاقربون وقبيلته التي ينتمي اليها[١] فالعشيرة هي مجتمع بشري يشتركون في صفات معينة ويتحدون ويتماسكون في المشاكل التي تصيب افرادها وينتقمون من خصومهم واعدائهم، كما تأتي عشرة بكسر العين أي المجاورة والمساكنة من عاشرني عل معروف فهو من عشيرتي وهذا رأي الكثير من شيوخ العشائر في الوقت الحاضر[٢]

كما تعرف العشيرة :هي جماعة من الأفراد تنحدر من نسب واحد وهو الجد وهو الأساس في تشكيل العشيرة وتكون القرابة بينهم من هذا الجد الذي هو اساس العشيرة ،وغالبيتهم يقطنون في مكان واحد ولذلك فأن العشيرة وحدة مكانية [٣].

وتعرف العشيرة (Clan)هي جماعة من الأفراد ذات الاصل الوراثي الواحد والتي يعتقد افرادها بانتسابهم بالدم ل(جد) مشترك واحيانا يكون ذلك الجد شخصية اسطورية ،والمفهوم في اللاتينية يقصد به الاطفال المنحدرين من نسب واحد خصوصاً الاب كما يحددها السوسيولوجيون الغرب [٤].

ويوضح محمود شمال حسن ان العلاقة بين العشيرة والأوضاع السياسية السائدة ان هذه الاوضاع قد تجعل من العشيرة قوة سياسية قد تحترف العمل السياسية شأنها في ذلك شأن التيارات والاحزاب السياسية والثابت ان العشيرة تركز اهتمامها على الوحدة القرابية والمحافظة عل التضامن بين افرادها والاهتمام بشأونهم ،يبدو ان الاوضاع السياسية الراهنة في المجتمع العراقي هو الذي يمنح العشيرة ومرجعيتها العشائرية صلاحيات العمل السياسي [٥].

التماسك الاجتماعي : يعني معرفة مدى قوة الترابط والتماسك بين افراد الجماعة الواحدة وان هذا التماسك والترابط يدفع افراد العشيرة بالشعور بالأمن والاستقرار وكذلك ضبط السلوك وهو شعور اقوى من الشعور الذي يوجد في الاسرة لان العشرة اكثر عدد افراد من حيث الحجم والكثافة من حجم وكثافة الاسرى[٧] . للعشيرة دور في التماسك الاجتماعي من خلال مساعدة افرادها لا سيما اذا اصاب احد افرادها في مكروه او انه وقع في مشكلة او ضائقة مالية فالعشيرة تقوم بمساعدة اعضائها عند تعرض احدهم لأي مشكلة مثلا حالة الوفاة اذ يقوم اعضاء العشيرة

بتحمل المصروفات عنه، ومن الأمور الاخرى التي تقوم بها العشيرة هو تحقيق العدالة بين افرادها فكل عشيرة فيها نظام داخلي يعمل على معاقبة السيء الذي يقوم بالاعتداء على الغير وان أي فرد يخالف نظام العشيرة يعرض نفسه للمسالة وكذلك عليه تفرض غرامات مالية [٨].

الضبط الاجتماعي :ان العشيرة وحدة اجتماعية يسودها التماسك والتعاون الاجتماعي وحتى السياسي لذلك يسارع جميع افراد العشيرة الى مساعدة العضو الذي يحتاج العون سواء كان مادياً او معنوياً وحتى المساعدة في العملية السياسية من خلال التكاتف والتثقيف لانتخاب العضو الذي يكون تابع لها لأنهم يشعرون بالفخر والأمان في حال فوز العضو التابع لعشيرتهم ،فالعلامة ابن خلدون يرى ان من أهم خصائص المجتمع هو التضامن الاجتماعي اذ لا يستطيع الفرد في الطبيعة ان يحيا بمفرده وانما مع الجماعة[٩].

النظام السياسي: في المعنا الضيق: هو انظمة الحكم التي تسود دولة معينة ، وذهب (جورج بيردو) إلى القول بأن النظام السياسي هو كيفية ممارسة السلطة في الدولة [١٠].

المعنى الواسع للنظام السياسي : يعرفه روبرت دال (Robert Dall) في كتابه التحليل السياسي الحديث بأنه: (مجموعة من العلاقات الانسانية والبشرية نتج عنها علاقات ذات طابع سلطوي) [١١].

المبحث الثالث: النفوذ العشائري وممارسة العمل السياسي

كان للعشائر العراقية دوراً حاضراً واصيلاً في تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ فالمجتمع العراقي بطبيعته يتصف بالتعددية الاجتماعية وشدة التنوع من حيث انتماءات الافراد والجماعات فالمجتمع العراقي قائم بالدرجة الاساس على طبيعة تكوينه العشائري والقبلي فالعرب هم الاغلبية الكبيرة في العراق وينحدرون من اصول تعود اغلبها الى قحطان وعدنان وهما القبائل العربية ونزحت من اليمن والحجاز الى العراق بوصفه ارض السواد وتتوفر فيه المياه والزراعة وتختلف طبيعة المجتمع العراقي تبعاً للبيئة وللأقليم ومستوى المعيشة والوضع الاقتصادي وموقع العراق من دول الجوار أثر ذلك على واقع العراق السياسي والاجتماعي بشكل عام[١٢]. ان تاريخ العراق الحديث والمعاصر كان للعشيرة دوراً مهما ومؤثر في الأوضاع السياسية والاجتماعية بدءاً من أواخر القرن السادس عشر الميلادي وحتى الحرب العالمية الأولى شكلت العشائر تحالفات أشبه بالأمارة المستقلة في البادية العراقية الممتدة من سفح جبل سنجار في غرب الموصل مروراً بغرب الفرات الى غرب البصرة وشمال الجزيرة العربية وايضاً كانت امارات الصحراء تفرض سيطرتها عل المدن والطرق الرئيسية التي تمر بالبادية العراقية[١٣]. وفي العهد العثماني اتبعت سلطة الاحتلال سياسة سلبية تستند ال تكريس النزعة العشائرية في المجتمع العراقي وذلك من خلال تشجيع القبائل على الحروب في ما بينها واشاعة الخلافات بينهم حتى تتمكن من فرض سيطرتها عل المجتمع كله ،غير ان هذه السياسة لم تحقق الاهداف للاحتلال مما اد الى اتباع سياسة اخر تستند على شن الهجمات العسكرية المتواصلة عل العشائر العراقية من اجل ان تعترف بالاحتلال وتطيع اوامره ايضا سرعان ما فشلت هذه السياسة في تحقيق اهدافها ،اضطرت سلطة الاحتلال العثماني الى اتباع سياسة اخرى وهي منح العشائر بعض المناطق في المقابل تتعهد هذه العشائر بدفع مبالغ سنوية الى الخزينة في بغداد[١٤].

ومع صدور قانون الاراضي العثماني ١٨٥٨ الذي تم تطبيقه في العراق تسبب بنتائج سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة نتيجة هذا القانون كان من اهمها اضعاف النظام العشائري ،وتحول الشيخ من اب روحي للعشيرة الى اقطاعي ،مما ترتب على ذلك نتائج سياسية مهمة في المناطق التي يقطنها العشائر والتي طبقت على اراضيهم اجراءات قانون الطابو فقد تعرضت وحدتهم الاجتماعية والسياسية الانقسامات والتفكك ورغم محاولات السلطة العثمانية لتحطيم قوة واتحاد العشائر الى انها لم تكن ناجحة [٥] اما البريطانيون فكانت خطوتهم الاولى عند احتلال البصرة سنة ١٩١٥ اصدر ما سمي ،(بيان العشائر)ملزمين الناس به وبعد الاستيلاء عل بغداد في الشهر الثالث من عام ١٩١٧ زادة مساحة ذلك البيان فصدر نظام دعاوي العشائر في ٢٨ من الشهر الثامن ١٩٢٤ والذي تم تعديله في ١ اب الشهر السادس من عام ١٩٣٣ ، والذي استمر العمل به حتى اندلاع ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ [١٥]. سار البريطانيون على سياسة تعزيز العشائر ونهجوا الى سياسة توحيد العشائر فاختاروا شيخ لكل منطقة من مناطق العراق ودعموا الشيوخ بالمال والسلاح والنفوذ حتى يكونوا مسولين عن امن المنطقة ان سياسة البريطانيون هذه افادتهم من ناحية واضرتهم من ناحية اخرى سيطروا على ارياف العراق من ناحية وزاد الانتاج وجعلتهم مكروهين من قبل كثير من الشيوخ ان اختيارهم لشيخ واحد لكل منطقة لم يراعوا القواعد والعادات والتقاليد المتعارف عليها في ورثة المشيخة وانما اختاروا من اعطاهم الولاء [١٦]. ان بناء الدولة العراقية مع تعدد مبادئهم السياسية لم يكن الأمر سهلاً حيث دخلوا في حالة وتصادم وتخادم مع شيوخ العشائر وحسب ما تقتضيه الضرورة ولكن القانون الذي العلاقة بين الطرفين هو ان هناك علاقة عكسية بين قوة الدولة وضعف العشيرة أي ان الشيخ لم يعد يستمد قوته من عشيرته بل من الدولة التي تدعمه كسياسي ترتبط مصالحه بالدولة التي اصبحت قوية بجيشها واساليبها وطريق مواصلاتها[١٧] .

وعند ما حصلت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مع نشوب الصراعات بين القوميين والشيوعيين المناطق الغربية كانت اغلبهم مع التيار القومي فيما كان اغلب الجنوبيين والشرقيين مع التيار الشيوعي الذي كان شعاره تمثيل الفقراء والفلاحين والعمال ولم يعد الصراع بين الاحزاب بل امتد ليشمل المناطق ومع ذلك كان أحد مصادر تحديث العشيرة تداخل في علاقاتها مع التي فرضتها الانتماءات إلى الاحزاب السياسية فأن ذلك جعل الاحزاب عبارة عن عشيرة ذات هوية حضرية [١٨] وخلال مدة نظام البعث البائد ١٩٦٣ الذي يقوم على سردية قومية اصر النظام على اقتلاع الشيوعين من السياسة والمجتمع في العراق من خلال القتل والتعذيب والتهجير وحتى من يتعاطف معهم يعتبر شريكاً وهدف للنظام البعثي واستمرت الحقبة البعثية قرابة التسعة اشهر كانت الاحداث فيها مضطربة سياسياً واجتماعياً والتباينات الفكرية والتنافس الشخصي و ومن ثم اعتمد النظام على العشيرة واعطى لها اهتمام بسبب شعوره بالحرج السياسي بعد عام ١٩٩١بعد ان انتفضت مناطق عديدة في العراق ضده وضعفت مؤسسات الدولة فحاول التقرب من العشائر لإرجاع هيبة النظام بعد المشاكل السياسية التي خلقها الاستبداد التي لا منفعة منها[١٩] وبهذا ضمنت حكومة البعث عدم حصول حالات التمرد العشائري في الارياف العراقية لأسباب كثيرة منها القمع والقتل والسجون وحالات الاعتقالات العشوائية والسلك العسكري وما يملكه من طائرات واخذ البعث يعيد انتاج المجتمع وصياغته وخلق قاعدة شعبية عن طريق سياسات البعث حتى في وسائل الاكراه ،كما تحكم نظام البعث في مناهج التعليم وكانت عبارة عن عملية تلقين لعقيدة البعث عبر مناهج التعليم، بحيث اصبح التعليم عبارة عن تعلم الشباب الولاء للحزب والثورة بدل من الولاء للعشيرة.

وبعد الاحتلال الامريكي للعراق في ٢٠٠٣/٤/٩ حاول الامريكان بالضغط على العراقيين لرسم النموذج الامريكي في ادارة الدولة مع ان اغلب العشائر في بداية الحملة العسكرية التي كان شعارها انهاء نظام صدام واعطاء العراق والعراقيين الحرية لم تقم العشائر بالتمرد ، ولكن بعد التأكد ان النظام انحل لجأ الافراد الى عشائرهم وبعدها تمردت العشائر بعد انهيار النظام مما ادى الى بروز جماعات عشائرية مسلحة ،كما اسهمت العشائر من خلال المشاركة بالاستفتاء على الدستور في العام (٢٠٠٥)[٢٠].

ان للعشيرة دور وتأثير دائم على الحياة الاجتماعية والسياسية في العراق فقد سيطرت على الريف الذي يشكل مساحات واسعة من العراق كما امتدت الى المدن وتمتلك العشيرة تنظيم وقيم وعادات وتقاليد وهذه التقاليد هي التي تحكم ابنائها وتمارس عليهم عملية الضبط الاجتماعي ، وحتى ابناء الريف بعد هجرتهم الى المدينة لم يتركوا الطابع العشائر الذي تعودوا عليه ونشأوا بل نقلوا قيمهم القبلية إلى المدن .

المبحث الرابع : العشائر العراقية والسياسة بعد عام ٢٠٠٣

تلعب العشائر دوراً اساسياً في المجتمع وقد برز دورها في التاريخ السياسي الحديث وخاصة ابان ثورة عام ١٩٢٠حيث كان لشيوخ ووجهاء العشائر الدور الفعال في التصدي للاحتلال البريطاني منذ ذلك الوقت ضلت العشيرة تلعب دورا اساسياً في العملية السياسية في العراق .

تلعب العشائر في العراق دورا منذ العقود السابقة على الرغم من الانتقادات التي توجه للعشائر بسبب كثرة النزاعات السياسية والاجتماعية فأن العشيرة تلعب دوراً اساسياً وقت اقتراب الانتخابات البرلمانية ومجالس المحافظات ايضاً بسبب التنافس الانتخابي فحين يبدأ موعد الانتخابات تعود العشيرة الى الواجهة، ان دور العشيرة في كل مرحلة من مراحل العراق تكون عكسياً مع قوة الدولة ومؤسساتها فكل ما كانت الدولة ومؤسساتها قوية تراجع دور العشيرة والعكس صحيح فكل ما كانت الدولة ضعيفة برز دور العشيرة وقويه فمنذ تأسيس العراق الحديث لم تنجح النخب الحاكمة ان تخلق هوية وطنية يجتمع حولها العراقيين حتى يتمكنوا من تجاوز انتماءاتهم الفرعية سواء العشائرية او الطائفية[٢١].

فبعد عام ٢٠٠٣ ظهرت العشيرة كقوة بارزة في العملية السياسية في العراق وكانت واضحة على افرادها الذين بدئوا في العمل السياسي كأعضاء في النخب الحاكمة فبدلاً من الاعتماد على الكفاءات والشخصيات التي لديها تاريخ حافل بالعلم سواء كان من اساتذة الجامعات والاطباء وغيرهم من الشخصيات في التنافس الانتخابي اصبح الاعتماد على العشيرة والثقافة العشائرية له دور كبير في الوجود السياسي وفي الدولة وعملية صنع القرارات المهمة التي تحدد مصير البلد لذلك حلت العشيرة محل الدولة واخذت تنافسها واضطرت الدولة للاستعانة بالعشيرة[٢٢].

لقد خلف الاحتلال الامريكي للعراق وبعد عدة اعوام أزمات كبرى ليس تفكيك الدولة وحسب فالمجتمع العراقي هو مجتمع قبلي نسبياً على الرغم من تداخل الثقافات بين افراده مثل الدين والطائفة والعادات والتقاليد والاعراف مما اضطر الافراد الى العودة الى عشيرتهم طلباً للأمن وحفاظاً على حياتهم وممتلكاتهم وصبح رؤساء العشائر اصحاب نفوذ وقرار .

مع ان العشائر العراقية في بداية الحملة العسكرية التي قادها التحالف الدولي لإنهاء نظام صدام تحت مسمى (الحرية والديمقراطية) لم تقم بأي تمرد لكن بعد دخول الامريكيين العاصمة بغداد وتأكدت ان النظام تهاوى لجأت بعض العشائر للتمرد في سبيل المغانم السياسية والاقتصادية وخاصة التي خسرت مكانتها السياسية ومناصب الافراد الذين ينتمون اليها بينما فضلت عشائر عراقية اخرى مراقبة

الوضع[٢٣]. لعبت العشائر دور اساسي وكبير بعد عام ٢٠٠٣ وما نتج بعدها من احداث واضطرابات اذ استطاعت العشائر من المحافظة على وحدة الصف الوطني وكان لها موقف وطني مع مرحلة ما بعد الاحتلال والوقوف بحزم ضد الارهاب من خلال قيامها بتشكيل مجالس الاسناد والصحوات والتي كان لها دوراً كبير في القضاء على الارهاب وثبيت سلطة الدولة والقانون في بعض مناطق العراق[٢٤].

ويرى البحث ان للعشائر العراقية دوراً كبيراً في محاربة داعش وخاصة بعد فتوى المرجع السيد علي السيستاني فالعشائر وابناء العشائر العراق هبو لمقارعة تنظيم داعش الارهابي بأبسط الاسلحة وقدموا ما يملكون من اجل العراق والمقدسات والحفاض على وحدة العراق وارضه وشعبه .

واكد وزير الداخلية عبد الامير ان العشائر العراقية الاصيلة اسهمت في وقت سابق في محاربة عصابات داعش الارهابية التي اصبحت اليوم شبه معدومة بعد الانتصارات والبطولات والتضحيات التي قدمها رجال وابناء العشائر العراقية للقضاء عل الارهاب [٢٥].

المبحث الرابع : العشيرة والتحول الديمقراطي

ولابد من طرح السؤال هل ان العشيرة في العراق ديموقراطية وهل ان الانتماء العشائري يعيق عملية التحول الديموقراطي في العراق ؟ ومن خلال هذا التساؤل يستطيع ان يكون مدخلاً لتحليل دور العشيرة في عملية التحول الديموقراطي يقصد بالتحول الديموقراطي التحول والانتقال من النظام السلطوي الى النظام الديموقراطي وهي عملية معقدة للغاية تشير الى التحول في الأبنية والاهداف والعمليات التي تؤثر على توزيع وممارسة السلطة السياسية [٢٦] ان عملية التحول من نظام سياسي استبدادي الى نظام سياسي ديموقراطي مسألة في غاية الأهمية والصعوبة لأنها تتطلب بلورة اتجاهات ومواقف عديدة مستندة الى عقلية واقعية وحكمة فالبناء الديموقراطي في العراق يحتاج الى تأسيس داخل الوعي الفردي والجمعي والى تأسيس داخل المنظومة الثقافية السائدة واساليب وطرق التنشئة والأعلام والوعي وما زال العراق يقف على مرحلة التحول الديموقراطي كما انه لم يعش مرحلة التجربة الديمقراطية بكل ميزاتها وابعادها وقواعدها المتعارف عليها في الانظمة السياسية الديموقراطية[٢٧] مع ان الفكر الايدولوجي لمعظم الحركات القومية والسياسية بل حتى الحركات الدينية تتعامل مع العشيرة بوصفها من رواسب الماضي وان الزمن كفيل بإزالتها الى ان معظم تلك الحركات وقعت ضحية هذا التعامل الذي تجاهلته اصبح هو المتحكم الحقيقي لتنظيمها ومسيطر على الانظمة وقادتها [٢٨]. حين فرض الاحتلال الامريكي سيطرته على بغداد في ٩ ابريل ٢٠٠٣ واسقطت رمز النظام الدكتاتوري في ساحة الفردوس ترك العراق بلا حكومة ولا جيش ولا ادارة واصبحت الدولة ضعيفة الى حد الضياع ومخترقة من الناحية الامنية وبخاصة بعد حل وزارة الدفاع والداخلية والتدمير المتعمد للمؤسسات لجأ الناس الى هوياهم الفرعية بشكل كبير اذ صارة الهوية العشائرية قارب نجاة وامان [٢٩].

ومن وجهة نظر الباحث يرى ان جزء كبير من ابناء العشائر الى اليوم يستنكفون ويعتبرونها عيباً ان يقدموا شكوى الى الحكومة حول قضية اعتداء او قتل او تنازع من اجل أرض مثلا لأنهم يرونه مخالف لقيم الرجولة فالرجل منهم يفضل اخذ حقه بنفسه اما من يذهب للحكومة ليطالب بحقه من خصمه يرونه ذليل مهزوم منكسر وحتى في حالات الصلح لا تحل المشكلة الى عن طريق العشيرة او شيخ العشيرة وحتى عندما تكون المشكلة بين عشيرتين لا تلجأ تلك العشائر المتنازعة الى القانون في اغلب الاحيان بل تتدخل عشيرة اخرى لحل النزاع بين العشيرتين مما اعطى قوة للعشيرة . ان التأثير العشائري في العراق وعرقلة التحول الديموقراطي هو احتفاظها بمجموعة مسلحة تلجأ الى الاستعانة بها ليس في الدفاع عن العشيرة فقط وانما لحماية نفسها من العشار الاخرى او حتى للدولة في بعض الاحيان ، وظاهرة المجموعة المسلحة العشائرية فيها نواحي سلبية على النظام السياسي وحتى الاجتماعي وهذا له أثار خطيرة على أمن المجتمع

وتجليات خطيرة على مستقبل عملية التحول الديموقراطي لأنه يتنافى مع مبدأ حصر السلاح بيد الدولة لان الدولة مسؤولة عن حماية جميع المواطنين اين ما كانوا وليس عن عشائرهم التي يجب ان يكون دورها مساند لجهود الدولة في حفظ الامن والاستقرار وخاص ان العراق يمر براحل وتطورات سياسية واجتماعية واقتصادية.

دور العشيرة في حفظ الامن :

حاجة الحكومة للعشائر لم تتوقف خاصة في وقت انشغال الدولة بالحروب والازمات فعدم الاستقرار الامني في العراق المشاكل الداخلية وظهور تنظيم القاعدة ادى الى الاستعانة بالعشائر لمحاربته من خلال تنظيم صحوة العراق ومجالس الانقاذ ثم تشكيل مجالس الأسناد العشائري وحتى عام ٢٠١٠ وصل عددها الى ٢٤٢ مجلساً ضم ٦٤٨٠ من شيوخ ووجهاء العشائر العراقية من الشمال الى الجنوب بدعم من رئيس العراق وقتها نور المالكي سياسياً وماليا[٣٠]. بعد انهيار الدولة اخذت العشائر تتحرك من اجل سد الفراغ الامني الذي خلفه انهيار الدولة وقامت العشائر بعمال منها الحفاظ على الممتلكات العامة من السراق والمخربين وبالفعل تم الحفاظ على الكثير من المدارس والمراكز الصحية وغيرها من المؤسسات وفي الاقضية والنواحي والخطوة الثانية للعشائر حاولت تنظيم نفسها من اجل الدخول في العملية السياسية [٣١].

تحليل ختامي للباحث :

يرى الباحث ان العشيرة هي ركن اساسي في التكوين الاجتماعي داخل المجتمع العراقي بنيويا و وظيفياً لأنها لها ادوار مهمة في ممارسة عملية الضبط الاجتماعي على فرادها لتوجههم بالشكل الصحيح والسوي والمحافظة على القيم الاخلاقية والعادات والتقاليد الاصيلة التي تتحلى بها العشيرة ، ولم تتخلى العشيرة عن دورها السياسي لذلك توجهت انظار السياسيين للعشائر للاستعانة بها واستثمار دورها في التعبة الحزبية والجماهيرية ، العشيرة لعبت دوراً مهما في اوضاع التوتر الاجتماعي تكون الملاذ الامن من تلك التوترات ، كما يرى الباحث العشائر ليست وليدة اليوم وانما واقع مفروض على المجتمع العراقي ومنذ ازمنة بعيدة حتى يونا هذا ومن الافضل الاستفادة منها لتحقيق الامن والاستقرار للبلد وهزيمة بالرهاب والجريمة المنظمة والظروف الحالية ،والحكومة لازالت ضعيفة ومؤسساتها مازالت في طور البناء ولازال يخوض التجربة الديموقراطية لذى يتطلب الامر دعم العشائر ورجال الدين وتكون العشائر في صلب مهمتها إلا وهي دورها الاجتماعي كوحدة تهتم بالأمور الاجتماعية من جهة وحامية للقوانين ومساندة الدولة لصد أي خطر يهدد المجتمع العراقي .

الاستنتاجات :

١_ان العشيرة كانت تعد الوحدة الاجتماعية الكبرى ولا يمكن الفرار من اثرها وفاعليتها ومن الممكن ان تحتويها الحكومة والاستفادة من دورها السياسي وحفظ الامن.

٢_ترى الدراسة بأن دور العشائر واثرها على الاوضاع السياسية يبقى فاعلا ومؤثراً على النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لأنه مازال النظام السياسي يعاني من مشاكل كثيرة اثرت على اضعاف الحكومات الناتجة عنه مما جعل الافراد يلجأون الى عشائرهم .

٣_كانت مواقف العشائر العراقية متفاوتة في التعامل مع الواقع الذي انتجه الاحتلال الامريكي في ابريل(نسيان)٢٠٠٣ اعلنت وقتها بعض العشائر التي كانت تعاني من النظام الدكتاتوري مساندتها للنظام السياسي الجديد بينما على العكس العشائر التي خسرت مكانتها السياسية ومناصب افرادها عن مقاومتها الجديدة بحجة مقاومة الاحتلال . واخرا ضلت تراقب الوضع .

٤_ان غالبية العشائر العراقية حاولت ان يكون لها دوراً في الديموقراطية العراقية بعد الاحتلال الامريكي .

٥_ ان ظهور دور العشيرة بشكل واسع في العملية السياسية دليل على فشل الدولة العراقية في خلق الهوية الوطنية الواحدة وجعل دور العشيرة كوحدة اجتماعية مهمتها الحفاظ على النظام الاجتماعي في المجتمع .

٦_ ان للعشيرة دور في حفظ الامن من خلال التصدي للأرهاب واسنادها للدولة وقت الخطر وحماية الممتلكات العامة وخاصة بعد عام ٢٠٠٣ .

التوصيات:

_ وضع مجلس يظم ابرز زعماء القبائل العراقية مهمة هذا المجلس تنسيق العلاقات بين العشائر العراقية والحكومة من اجل وضع العشائر تحت عباءة الدولة وضمان التزام زعماء العشائر بالقوانين الدستورية النافذة واللجوء اليها بدل من ان تكون الاعراف العشائرية فوق القانون والدستور .

_ يتدخل مجلس النواب بتفعيل لجة او مجلس شؤون العشائر تكون اللجنة او المجلس مهمته تقوية العلاقة مع العشائر وضمان حضور المجلس في القضايا التي تضمن سلامة التشريعات والمطالب القانونية والمشروعة لأبناء العشائر لضمان عدم حدوث مشاكل او فوضى في البلد .

_احتواء توجهات النخبة من العشائر في المشاركة في تعديل بعض الفقرات الخاصة بالدستور خاصة مطالب المتظاهرين السلميين .

الهوامش:

[١]ايمان قاسم عباس وحنان عيس جاسم، دور الاسرة والعشيرة والقبيلة في تربية الاطفال، جامعة تكريت،٢٠٢٢ ، ص٥٩٤.

[٢]باسم عاجل حشيش، العرف العشائري والجريمة في المجتمع العراقي، رسالة ماجستير، كلية الآداب ،جامعة القادسية،٢٠٢٣، ص١٤.

[٣]محمود شمال حسن، مرجعيات الجماعات المرجعيات في المجتمع العراقي وأثرها في تقرير توجهات الافراد ، ط ١، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٨٩.

[٤] علي جواد وتوت ،الدور السياسي للعشائر العراقية ،٢٠٠٩ ، ص٦.

[٥] ينظر: محمود حسن شمال مرجعيات الجماعات، مصدر سابق، ص ١٠٠.

[٦]علاء محمد ناجي وطالب عبد الكريم ،الدور الاجتماعي للعسيرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣،جامعة القادسية كلية الآداب، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ،مجلد٢٥،ع٢,٢٩١٧، ص١١٣٤.

[٧]محمد جميل احمد ،العشيرة والتماسك الاجتماعي دراسة انثروبولوجي في مدينة الشعب ،ص١٤، ٢٠١٧.

[٨] فلاح خلف كاظم الزهيري ،العشيرة واستراتيجية بناء الدولة المعاصرة في العراق ما بعد ٢٠٠٣، ع٦٤، ٢٠٢١، ص٢٢٤.

[٩] بلقاسم سيد أحمد وبن حليمة، ماهية النظام السياسي ،٢٠٢٣، ص٥.

[١٠] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[١١]كتاب غالي جبار الجبوري ،العشائر العراقية ودورها في التكامل السياسي والحضاري في العراق حتى نهاية العهد الملكي عام ١٩٥٨ ، بحث منشور في المؤتمر العلمي الدولي الثاني للعلوم الانسانية والاجتماعية الصرفة ،كلية التربية للبنات ،جامعة القادسية ،٢٠٢١ ، ص١٩١.

[١٢]فلاح خلف كاظم الزهيري ، مصدر سابق، ص٢٢٤.

[١٣]محمود شمال حسن ،مرجعيات الجماعات ، بيروت ،الانتشار العربي ،ط١ ،٢٠١٠ ، ص٩٦.

[١٤]جاسم حسين الصكر ،شيخ العشيرة دوره السياسي في العراق ،،دار الفكر للطباعة في الحلة، ٢٠٠٩، ص٢٧.

[١٥]عباس العزاوي ،عشائر العراق ،بيروت ،مكتبة الحضارات ،٢٠١٠، ص٢٢٨.

[١٦]جاسم حسين الصكر، مصدر سابق ص٨١.

[١٧]كريم حمزة ، تاريخ الاستخدام السياسي للهوية المحلية العشائرية في العراق، مج٦، ع ١٩، ٢٠١٧،ص١١١

[١٨]كريم حمزة، مصدر سابق ص١٠٩.

[١٩]انظر: عضيد داويشه ،ترجمة سامر طالب، العراق تاريخ سياسي من الاستقلال الى الاحتلال ، مركز الرافدين للحوار، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠١٩ ، ص٢٠٧.

[٢٠] دور العشائر في حماية التجربة الديموقراطية في العراق الانتخابات انموذجاً، مركز الفرات للتنمية والدراسات والاستراتيجية ،ندوة، ٢٠١٨/٣/١٢ ، موقع المركز fcdrs.com

[٢١] ينظر : العشائر العراقية الدور والتأثير والسلوك السياسي والانتخابي ،بحث منشور عل الموقع الالكتروني alkhaadeq.org.lb:

[٢٢]المصدر نفسه.

[٢٣] علي جواد وتوت ،الدور السياسي للعشائر العراقية ،مصدر سابق ،ص٣٤-٣٥.

[٢٤] محمد جميل احمد التغير البنائي للعشيرة لمرحلة ما بعد داعش(دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد)، الجامعة المستنصرية ،دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية مجلد ٤٧، عدد٢،ملحق٢، ٢٠٢٠،ص١٠٣.

[٢٥] بحث منشور على الموقع الالكتروني : https://www.ia.iq

[٢٦] انظر : شكري عاشور السويدي و ايهاب عطية الفارسي التحول الديموقراطي في الوطن العربي ،مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية مجلد ٤،ع١٣ ، ٢٠٢٤ ،ص١١٥٨.

[٢٧]ينظر: محمد عبد الحمزة خوان ، التحول الديموقراطي في العراق واقراره لحقوق الانسان ،جامعة القادسية ،مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية ،مجلد ٦، ع١ ٢٠١٥،ص١٦٢.

[٢٨]فلاح خلف كاظم الزهيري ،العشيرة واستراتيجية بناء الدولة المعاصرة في العراق ما بعد عام ٢٠٠٣، مصدر سابق ص ٢٣٣.

[٢٩] ينظر : علي وتوت : الدور السياسي للعشائر العراقية ،مصدر سابق ، ص٣٣.

[30] ميادة داود، العشائر والدولة العراقية علاقة تاريخية شائكة ،٢٠٢٤ : https://www.irfaasawtak.com

[٣١] فلاح خلف كاظم الزهيري ، العشيرة وستراتيجة بناء الدولة المعاصرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، مصدر سابق، ٢٣٦.

المصادر والمراجع:

١- جاسم حسين الصكر ،شيخ العشيرة دوره السياسي في العراق ،،دار الفكر للطباعة في الحلة، ٢٠٠٩م.

٢- عضيد داويشه ،ترجمة سامر طالب، العراق تاريخ سياسي من الاستقلال الى الاحتلال ، مركز الرافدين للحوار، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠١٩

٣- عباس العزاوي ،عشائر العراق ، بيروت ، مكتبة الحضارات ،٢٠١٠م.

٤- د. محمود حسن شمال مرجعيات الجماعات المرجعيات في المجتمع العراقي وأثرها في تقرير توجهات الأفراد، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠.

البحوث:

١ – ايمان قاسم عباس وحنان عيس جاسم، دور الاسرة والعشيرة والقبيلة في تربية الاطفال، جامعة تكريت،٢٠٢٢ ، ص٥٩٤.

٢– شكري عاشور السويدي و ايهاب عطية الفارسي التحول الديموقراطي في الوطن العربي ،مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية مجلد ٤،ع١٣ ،٢٠٢٤

٣– د. علي وتوت : الدور السياسي للعشائر العراقية سوسيولوجيا المشاركة السياسية للعشيرة في الدولة العراقية الحديثة، ٢٠٠٩م.

٤ – علاء محمد ناجي وطالب عبد الكريم ،الدور الاجتماعي للعسيرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣،جامعة القادسية كلية الآداب، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ،مجلد٢٥،ع٢,٢٩١٧.

٥ – فلاح خلف كاظم الزهيري ، العشيرة وستراتيجة بناء الدولة المعاصرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ .

٦ – كتاب غالي جبار الجبوري ،العشائر العراقية ودورها في التكامل السياسي والحضاري في العراق حتى نهاية العهد الملكي عام ١٩٥٨ ، بحث منشور في المؤتمر العلمي الدولي الثاني للعلوم الانسانية والاجتماعية الصرفة ،كلية التربية للبنات ،جامعة القادسية ،٢٠٢١

٧ – كريم حمزة ، تاريخ الاستخدام السياسي للهوية المحلية العشائرية في العراق، مج٦، ع ١٩، ٢٠١٧م.

٨ – محمد جميل احمد التغير البنائي للعشيرة لمرحلة ما بعد داعش(دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد)، الجامعة المستنصرية ،دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية مجلد ٤٧، عدد٢،ملحق٢، ٢٠٢٠م.

٩ – محمد عبد الحمزة خوان ، التحول الديموقراطي في العراق واقراره لحقوق الانسان ،جامعة القادسية ،مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية ،مجلد ٦، ع١.

المواقع الالكترونية

١ – بحث منشور على الموقع الالكتروني : https://www.ia.iq

٢– ميادة داود، العشائر والدولة العراقية علاقة تاريخية شائكة ،٢٠٢٤ : https://www.irfaasawtak.com

٣ – العشائر العراقية الدور والتأثير والسلوك السياسي والانتخابي ،بحث منشور عل الموقع الالكتروني alkhaadeq.org.lb: